بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء

عَنْ عُثْمَان بن عفان ﷺ قال: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: مَنْ قالَ: «بِسْمِ اللهِ الَّذِي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْء فِي الأَرْضِ ولَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ثلاَثَ مَرَّات لَمْ تُصِبْهُ فَجأَةُ بَلاَءٍ حَتى يُصْبِحَ وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ لَمْ تُصِبْهُ فَجأَةُ بَلاَءٍ حَتَّى يُمْسِي».

قَالَ: فَأَصَابَ أَبَانِ بْنَ عُثْمَانَ الْفَالِجُ فَجَعَلَ الرَّجُلُ الَّذِي سَمِعَ مِنْهُ الْحَدِيث يَنْظُرُ إِلَيْهِ فَقَالَ لهُ مَا لَكَ تَنْظُرُ إِلَيَّ فَوَاللهِ مَا كَذَبْتُ عَلَى عُثْمَانَ ولاَ كَذَبَ عُثْمَانُ عَلَى النَّبِي ﷺ وَلَكِنَّ الْيَوْمَ الَّذِي أَصَابَنِي فِيهِ مَا أَصَابَنِي غضِبْت فَنَسِيتُ أَنْ أَقُولَهَا[1].

وفي رواية: «مَنْ قَالَ بِسْمِ اللهِ الَّذِي لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شيءٌ فِي الأَرْضِ ولَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ثَلاثَ مَرَّات لَمْ تَفجَأْهُ فَاجِئَةُ بَلاَءٍ حَتَّى اللَّيْلِ وَمَنْ قالَهَا حِينَ يُمْسِي لَمْ تَفْجَأْهُ فَاجِئَةُ بَلاَءٍ حَتى يُصْبِحَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»[2].

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٥٠٩٠)، وصححه الألباني في صحيح وضعيف سنن أبي داود (٥٠٨٨)، وفي صحيح الجامع برقم (١٣٧٢).

(٢) أخرجه أحمد برقم (٤٤٦) وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن.

المعنى العام للحديث

(١) **ما من عبد**: من (زائدة) لإفادة العموم.

(٢) **بسم الله**: أستعين بالله وأحتمي به.

(٣) **لا يضر مع اسمه شيء**: أي لا يضر مع ذكر اسمه باعتقاد حسن، ونية صالحة شيء: في العالم السفلي المشار إليه بالأرض والعالم العلوي المشار إليه بقوله «ولا في السماء»، وإعادة (لا) لتأكيد النفي، وذكر السماء والأرض لأن المخلوق لا يخلو عنهما.

(٤) **لم يضره شيء، وفي رواية (لم تصبه فجأة بلاء)**: أي لم يصبه بلاء عظيم لأن المؤمن لا يخلو من علة أو ابتلاء. فهذه الرواية جاءت مفسرة ومبينه لعموم المضرة، أو أن المراد بنفي المضرة عدم الجزع والفزع[١].

وقفات إيمانية

الوقفة الأولى: بسم الله:

أحتمي وألوذ وأستعين بالله فهو القوي القادر، والعزيز القاهر، وهذه الكلمة هي مفتتح أعمال كثيرة من أعمال الخير كقراءة القرآن والأكل والعمل وغير ذلك، لأنها تعني: الاحتماء والاستعانة بالله ﷻ.

* للاستعانة فكأنك تقول: أستعين بالله.

* أو للمصاحبة كأنك تستصحب اسم الله في كل الأوقات والأحوال.

* وقيل إن الباء: بهاء الله، والسين: سناؤه فلا شيء أعلى منه، والميم

(١) الفتوحات الربانية على الأذكار النووية، لابن علان البكري (١/ ٦٨٥، ٦٨٦).

ملكه، وهو على كل شيء قدير[١].

* وجاءت ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾ دون الألف، لأن الباء بهذا الرسم توحي بالانكسار للّه، والتواضع لجلاله، واستعمال لفظ (اسم) هنا: بمثابة استعمال الجيوش شعارها المصطلح عليه. فكل مقام يقصد فيه التيمن والانتساب إلى الله يعدّى فيه الفعل إلى لفظ اسم الله كقوله ﷻ: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٖىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ﴾ [هود: ٤١]، وقوله: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾ [الواقعة].

فكل مقام يقصد فيه طلب العون يُعدى الفعل المسؤول إلى علم الذات (اللّه) باعتبار ما له من صفات الحق مثل: اللهم بك أصبحنا «أي بقدرتك أصبحنا»[٢].

❑ الله ﷻ:

* جاءت من أَلَهَ الرجل ألوهة وألوهية: بمعنى عبد عبادة. فإله: بمعنى معبود.

* أو جاءت من أَلِه إذا تحيّر: لأن العقول تتحير في معرفته. فإله بمعنى: الخالق صاحب الذات العلية.

* أو جاءت من ألهت إلى فلان: أي سَكَنْتُ إليه إذ القلوب تسكن بطاعته وتطمئن بذكره، فإله بمعنى: المشتاق إليه.

* أو جاءت من أَلَهَ: إذا فزع من أمر نزل عليه، ونحن نفزع إليه وحده، فإله: بمعنى: الملتجأ إليه.

* أو جاءت من أَلَه الفصيل[٣]: إذا تعلّق بأمه وهكذا العبد يتعلق بمولاه، فإله بمعنى: المحبوب المعظم.

---

(١) حدائق الروح (١/ ٤٢).

(٢) التحرير والتنوير، لابن عاشور (١/ ١٤٩، ١٥٠).

(٣) الفصيل: هو ولد الناقة أو البقرة بعد فطامه وفصله عن أمه.

* الله اسم جامع لكل الأسماء الحسنى، والصفات العلا، ولا يُسَمّى به سواه، وتُطْلَق على كل معبود بحق أو باطل لكن غلب إطلاقها على المعبود بحق وهو الذي تألهه القلوب، وتعبده الخلائق.

بلاغة تعبير

استحضر عظمة النبي ﷺ الذي أوتي خير الكلم بأوجز لفظ وأوضحه وأجمعه، فالعبد يحتاج في كل وقت إلى ما يُناسبه. فعند العمل يحتاج إلى قدرته سبحانه، فيقول: يا قادر، وعند التوبة يحتاج إلى رحمته فيقول: يا رحمن، وعند السعي يحتاج إلى رزقه فيقول: يا رزاق، وعند الخوف يحتاج إلى عونه فيقول: يا قوي وهكذا، مما يصعب على العبد إحصاؤه، ويشتد عليه ذكره، فالأعمال كثيرة والرغائب عديدة، والآمال لا تُحْصى فجيء باسم الذات (اللّه) ليغني عن كل اسم من الأسماء الحسنى، فهو الاسم الأعظم كما قال بعض أهل العلم، وهو الجامع لكل الأسماء الحسنى، والصفات العلا، ولأن ذكرك له، ونطقك به مُغْنٍ عن كل اسم من أسمائه الحسنى.

❑ **الله** ﷻ:

* الله المستحق لكل مدح وحمد، وثناء ومجد، وكمال وجلال، وجود وفضل، وعز وجمال.

* ما ذُكِرَ في قليل إلا كثَّره، ولا عند خوف إلا أزاله ولا عند كرب إلا كشفه، ولا عند هَمّ إلا فَرّجَه، ولا عند ضيق إلا وسّعَه، ولا تعلّق به ضعيفٌ إلا قوّاه، ولا ذليل إلا أعزّه، ولا فقير إلا أغناه، ولا مستوحش إلا آنسه، ولا مغلوب إلا نَصره، ولا مضطر إلا كشف ضره، ولا شريد إلا آواه.

* وهو الاسم الذي قامت به السموات والأرض، وبه أُنزِلَتْ الكتب وأُرْسِلَتْ الرسل، وشُرِّعَت الشرائع، وقامت الحدود، وبه انقسمت الخليقة إلى سعداء وأشقياء، وبه حُقَّتْ الحاقة، ووقعتْ الواقعة، وبه قام سوق الجنة والنار، وفيه الموالاة والمعاداة، وبه سعد مَنْ عرفه، وشقي من جهله فالخلق به وإليه ولأجله[١].

* الله ﷻ الذي أضاف إليه الأسماء الحسنى فيقال: الرحمن الرحيم من أسماء اللّه، ولا يقال الله من أسماء الرحمن[٢].

* الله ﷻ الذي يملك الضر والنفع، والإعطاء والمنع، والرفع والخفض، به قام كل شيء، وعليه قيام كل شيء، مُسْتغنٍ عن خلقه، فهو القوي القادر، العزيز القاهر ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾﴾ [الأنعام].

الخلق خلقه، والكون كونه، والقضاء قضاؤه والكل لمشيئته خاضع، ولحكمه خاشع.

فَمَنْ يرهبك في الأرض (إنس، جن، دواب، عمل)؟ ما يخيفك في السماء (صعق - برق - رعد)؟ لا أحد لأن معك الله ﷻ.

مسألة: لِمَ قَدّم النبي ﷺ الأرض على السماء؟

لمناسبتها الاستعانة، نعم حق السماء أن تقدم الأرض، ولكن هنا الأليَق تقديم الأرض: لأن الذاكر عبد يعيش عليها، ويموت عليها، ويبعث منها، ولتعلم أن السماء في القرآن لها معنيان: أنها واحدة السماوات، وأنها كل ما علانا كالسحاب والجو، وهذا المعنى هو الأعم.

---

(١) فتح المجيد لشرح كتاب التوحيد، عبد الرحمن بن حسن بن محمد، ص٣٢.

(٢) طريق الهجرتين، لابن القيم، ص٧٨.

الوقفة الثانية: وهو السميع العليم:

* الذي يسمع كل شيء وإن دَقّ وصغر: ﴿سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ ﴿١٠﴾﴾ [الرعد].

* الذي يحيط بجميع الأصوات ظاهرة وباطنة.

* الذي يسمع دعاء المحتاجين، وحمد الحامدين، ومناجاة المسبحين، واستغاثة المضطرين.

* الذي يسمع دعوتك عند الاضطرار، ويكشف محنتك عند الافتقار، ويغفر زلتك عند الاستغفار، ويقبل معذرتك عند الاعتذار.

قال ﷻ: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [النمل].

وهُوَ السَّمِيعُ يَرى ويَسمعُ كُلَّ ما ... في الكَونِ من سِرٍّ ومن إعلان
ولكلِّ صوتٍ مِنْهُ سَمْعٌ حاضرٌ ... فالسر والإعلان مُسْتويانِ[1]

* الذي لا تختلف عليه الأصوات، ولا تشتبه عنده اللغات واللهجات، ولا يشغله سَمْعٌ عَنْ سَمْعٍ، ولا صوت عن صوت، كما قالت عائشة ﵂: الحمد لله الذي وَسِعَ سمعه الأصوات، لقد جاءت المُجَادلة تشكو إلى رسول الله ﷺ وإني ليخفَى عليّ بعض كلامها فأنزل الله ﷻ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾ [المجادلة][2].

وعن ابن مسعود ﵁ قال: اجتمع عند البيت قرشيَّان وثقفي أو ثقفيّان

---

(١) النونية، لابن القيم (٢/ ٢١٥).

(٢) أخرجه أحمد برقم (٢٤٢٤١)، والنسائي برقم (٣٤٦٠) وصححه الألباني في صحيح ابن ماجه برقم (١٨٨).

وقُرَشِيّ كثيرة شحم بطونهم، قليل فقه قلوبهم، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر يسمع إن جهرنا، ولا يسمع إن أخفينا. وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا فأنزل ﷻ: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [فصلت][1].

❀ ❀ ❀

العليم: الذي يعلم كل شيء قبل حدوثه ﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾﴾ [النمل].

* العليم: الذي يعلم بالشيء وهو باللوح المحفوظ بعد كتابته وقبل إنفاذ أمره ومشيئته: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾﴾ [الحديد].

* العليم: الذي يعلم بالشيء عند وقوعه وتنفيذه ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾﴾ [سبأ].

* العليم: الذي يعلم ما كان وما يكون وما سيكون، سبحانه أحاط بكل شيء علما. ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾﴾ [طه].

ثمار الذكر

الثمرة الأولى: استحضر عند استعانتك باسم مولاك العظيم استشعار جلال الاستعانة باسم الله الأعظم الذي: هو عَلَمٌ على ذاته وجامع لكل صفات الجلال والكمال وبه نطقت الفطرة وله سجد جميع الكون قال ﷻ:

---

(١) متفق عليه: البخارى برقم (٤٨١٧) ومسلم برقم (٢٧٧٥).

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ﴿١٨﴾﴾ [الحج].

واعلم أن ذكرك له ليس استحضارًا لغائب، ولكنه حضور لك أنت من غيبتك وإفاقة لك من غفلتك، وتنبيه لك من سهوك.

وكما كان واحدًا في خَلقك ابتداءً. فاجعله واحدًا في عبادتك وخوفك، وخضوعك انتهاءً.

فكل عبودية منك لغيره هباء، وكل محبة لسواه بِالباطل عذاب، وكل تذلّل لغيره ذل وهوان وكل اعتزاز بغيره ضياع وصغار.

صدق (الفضيل بن عياض) عندما قال: مَنْ خاف الله لم يضره شيء، ومن خاف غير الله لم ينفعه أحد[١].

وعلى الدرب رجال

عندما انقطع السبيل بـ(العلاء الحضرمى) واشتد به الظمأ رضي الله عنه ومعه جيشه نادى: «يا الله يا عظيمُ أَغِثنا» فجاءت النجدة سحابةٌ ترعد، وتمطر، ثم ترتفع بعد أن ارتوى العلاء وجيشه[٢].

وعندما دخل (أبو مسلم الخولاني) التابعي الصالح على (الأسود العنسي) الذي ادّعى النبوة فقال له: أتؤمُن بي؟ قال لا أسمعُ شيئًا، قال تؤمنُ بمحمد؟ قال الخولاني التابعي الصالح: بأبي هو وأمي نعم أومِنُ به. فقال: واللّه

(١) شعب الإيمان للبيهقي برقم (٩٧٣).

(٢) سير أعلام النبلاء، للحافظ الذهبي (١/ ٢٦٦).

لأقتلنّكَ قتلة ما قتلها أحدٌ قبلي فحفر له حفرة وأشعلها نارًا وألقاه فيها فماذا حَدَث له؟ لا شيء صارت النار عليه بردًا وسلامًا، وعند عودته للمدينة سالمًا قال عمر رضي الله عنه: الحمد لله الذي أرانا في أمة محمد ﷺ مَنْ فُعِلَ به كما فُعِلَ بإبراهيم الخليل عليه السلام[1].

فلا بد: أن يرسخ في قلبك: أن الله هو الإله القادر، والكل تحت أمره وقبضته، فلا يحدث شيء إلا بأمره، لا نافع إلا هو، ولا معطي إلا هو، ولا مانع إلا هو فاعتصم به وحده تنل مرادك قال ﷻ: ﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بَٰلِغُ أَمْرِهِۦ﴾ [الطلاق: ٣].

دعائم قلب

* قال الإمام أبو حنيفة رحمه الله: الحكايات عن العلماء ومحاسنهم أحب إليّ من كثير من الفقه لأنها آداب القوم[2]. فكيف إذا كانت الحكاية عن سيد الناس وخيرهم محمد ﷺ؟!

أسرع (سراقة بن مالك) خلف النبي ﷺ في طريق هجرته من مكة إلى المدينة لينال جائزة قريش (مائة ناقة) إذا ظفر به حيًا أو ميتًا، وهنا اعتصم النبي ﷺ بربه الذي لا يضر مع اسمه شيء، ودعا على سراقة. فغارت قوائم فرسه في الأرض حتى سقط، فلم يجد (سراقة) سبيلًا إلا العودة إلى مكة[3].

وفي غزوة ذات الرّقَاع عندما نزل النبي ﷺ تحت شجرة ليستظل بها أتاه

---

(١) حلية الأولياء، لأبي نعيم (٤/٢٠٨).

(٢) رسالة المسترشدين، للحارث المحاسبي، ص٣.

(٣) أخرجه البخاري برقم (٣٦١٥). بأطول من هذا.

رجل وقامَ على رأسه الشريف وقال: مَنْ يمنعُك مِنّي فقال ﷺ: اللّه. فارتد خاسرًا ولم ينله بسوء[١].

* هاج البحر وفزع الناس وكان معهم (إبراهيم بن أدهم) الذي اعتصم بمولاه، وناجى معبوده الذي لا يضر مع اسمه شيء: اللهم أرْيتنَا قدرتك فأرِنَا عفوك» فهدأ البحر، وسَلِمَتْ السفينةُ بمَنْ فيها[٢].

* ألا يدفعك هذا إلى صدق اللجوء إليه، وجميل التذلل بين يديه، وما أجمل أن تقتدي بالخليل إبراهيم عليه السلام في دعائه كما قال ﷻ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧].

فالسميع سبحانه يسمع دعاءك. فأين ذاك من سمع أهل القبور ممن يستغيث بهم بعض العِبَاد وهم لا يملكون لأنفسهم ولا لهم نفعًا ولا ضرًّا؟!

❁ ❁ ❁

الثمرة الثانية: سبحانه هو السميع:

* استحضر جلال وكمال هذا الاسم العظيم، فسبحانه هو السميع الذي وسع سمعه الأصوات، ولا يخفى عن إدراكه مخلوق أو معدوم، فقد وسع الكل سمعه سبحانه.

* سبحانه هو السميعُ يسمعك أينما كنت، ولتنظر إلى نبي الله يونس عليه السلام أين نادى ربه؟ في بطن الحوت، في عمق البحر، في ظلمة الليل.

قال ﷻ: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾ فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ

(١) أوردها البخاري في صحيحه برقم (٢٩١٠)، ومسلم برقم (٨٤٣).

(٢) الموسوعة الذهبية من القصص الواقعية، محمد أحمد الهلالي، ص٢٣٥.

وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُنجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء].

* فانهض وتدبر قوله ﷻ: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الشعراء]. فسبحانه لا تمنعه إجابة عبد عن إجابة آخر، ولا يشغله سمع عن سمع. فالجأ إليه وسله صلاح حالك، وسداد أمرك، ولا تسأل -أخي-: كيف يسمع سبحانه ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

❁ ❁ ❁

وللسمع عدة معان في حقه سبحانه:

الأول: يسمع بذاته دون آلة أو حاسة فسبحانه منزه عن ذلك.

الثاني: يسمع كل صوت وما يحمله من أهداف وغايات، وهو سمع الإدراك، قال ﷻ: ﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾﴾ [المجادلة].

الثالث: يسمع سمع إجابة يجيب المضطر إذا دعاه، ويكشف السوء، ومنه حديث النبي ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ نَفْسٍ لا تشبَعُ، وَقَلْبٍ لا يخشَعُ، وَمِنْ عِلْمٍ لا يَنْفَعُ، وَمِنْ دُعَاءٍ لا يُسْمَعُ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَؤُلاَءِ الأَرْبَعِ**»(١).

فما ثمرة إيمانك أنه سبحانه سميع؟

* أن تشكر نعمة السمع التي أكرمك بها، وشكرها أن تقيمها في مرضاة المولى سبحانه.

كما قال بعض العلماء: ينبغي للعبد أن يعلم أن الله تعالى لم يخلق له هذا

---

(١) أخرجه أحمد برقم (٦٥٦١)، وأبو داود برقم (١٥٤٨)، والنسائي برقم (٧٨٧١)، وصححه الألباني في صحيح الجامع برقم (٢١٧).

السمع إلا ليسمع كلام الله «فالمصنع الذي صنع آلة الطحن أيليق بك أن تستعملها في غير الطحن بل إن آلة طحن اللحوم لا ينفع استخدامها في طحن الحبوب؟!.

فعلى هذا أيليقَ بك أن تسمع الغناء والغيبةَ، والإفك، وذكر العورات بالطبع: كلا.

فاللهم نَزّه أسماعَنا عن كل سوء، وأنزِلْ عليها نورًا لنسمع به كل الخيرات.

❁ ❁ ❁

الثمرة الثالثة: سبحانه هو العليم:

أسْكِنْ قلبَكَ عظمةَ مولاك العليم بصدقك، بسرك، بجهرك، قال ﷻ: ﴿قُلْ إِن تُخْفُوا۟ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ ۗ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ [آل عمران].

❁ فيا من آمنت بالله العليم أين خوفك منه ومراقبتك له؟! أولم تتدبر قول نبيك ﷺ: «**إِنِّي لأَنقَلِبُ إِلَى أَهلي، فأَجِدُ التَّمْرَةَ سَاقِطَة عَلَى فِرَاشِي فأَرْفَعُهَا لآكُلَهَا، ثُمَّ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ صَدَقَةً فَأُلْقيهَا**»(١).

❁ أما آن لك أن تستحيي من مولاك (العليم)؟ ألا تتدبر حديثه ﷺ: «**أوصِيكَ أَنْ تَسْتَحيي من الله تَعَالى كَمَا تَسْتَحيي من الرَّجُلِ الصَّالِحِ من قومك**»(٢).

---

(١) متفق عليه: البخاري برقم (٢٠٥٥) ومسلم برقم (١٠٧١).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم (٥٤٠٦) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٧٤١).

استح من اللّه: ﴿ٱلَّذِى يَرَىٰكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾ [الشعراء].

استح من الله الذي ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر: ١٩].

استح من اللّه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

مهلًا أخي: قالها (حميد الطويل) لسليمان: **لئن كنت إذا عصيت الله خاليًا وظننت أنه يراك لقد اجترأت على أمر عظيم، ولئن كنت تظن أنه لا يراك فقد كفرت**[١].

إنَّ مَنْ يَعْتَدِى ويَكْسِبُ إِثْمًا ... وَزْنَ مِثْقَال سَيَرَاهُ

ويُجَازَى بفعلهِ الشَّر شرًّا ... وبفعله الجَميلَ أيْضًا جَزَاهُ[٢]

❁ ❁ ❁

مقويات الذكر

ولكي تستشعر عظمة (العليم):

(١) تدبر معي قول (محمد بن سوار) عند تقلبه وتنقله: الله معى، الله ناظري، الله شاهدي[٣].

فاستحضرها أخي إذا غاب عنك الرقيب، ونامت العيون. فاذكر العليم وتذكر: الله معى.. الله ناظرى.. الله شاهدي.

(٢) خرج عبد الله بن عمر رضي الله عنهما إلى مكة فنزل في جانب الطريق ورأى أحد الرعاة وقال له: بعْنى شاةً من هذه الغنم فقال له: إني مملوك، فقال: قُلْ

(١) إحياء علوم الدين، أبو حامد الغزالي (٧/ ٣٩).

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبى (٢٠/ ٥٢).

(٣) مختصر منهاج القاصدين، للمقدسي (٢/ ١٩).

لسيدك أكلها الذئب، قال: فأين اللّه؟ فبكى ابن عمر، ثم غَدَا إلى مولاه فأعتقه واشترى الغنم[١].

فيا أخا الإسلام مَنْ ترك شيئًا لله في الحرام أبدله الله به في الحلال.

عفّ عن غنمةٍ واحدة فملّكه الله الغنم كلها.

(٣) كان أحد فتيان المدينة يشهد الصلوات كلها مع عمر بن الخطاب ﷺ، وعشقته امرأة من أهل المدينة، فاحتالت عليه، أنا عجوز لي شاة لا أقْوَى على حلبها فساعدْنِي، فذهب إليها فإذا بها تراوده عن نفسه فاستعصم بربه، فهددته بالناس فلم يهتم فما كان منها إلا أن صرخت واستغاثت بالجيران متهمةً إياه بالاعتداء عليها، وذهب الخبر إلى (عمر) وسأل الفتى وأتى بالنسوة وبينهن هذه المرأة فتعرّف عليها الفتى فسألها (عمر) الصدق فأخبرته الحقيقة فقال (عمر): الحمدُ الله الذي جعل فينا شبيه يوسف[٢].

(٤) كتب (عمرو بن هبيرة) كتابًا للحسن البصري والشعبي. فقال فيه: إن أمير المؤمنين (يزيد بن عبد الملك) يأمرني بأوامر إن أطعته فيها أعطاني من الدنيا ما أحب لكن فيها معصية ربى، وإن عصيته فيها حرمني ولكن فيها مرضاة ربي، فصاح البصري: اعلم يا ابن هبيرة أن الله يحميك من يزيد، ولن يحميك يزيد من اللّه[٣].

ألا تُوحِّدُ ربك العليم وتعلم أن كل ما هو معلوم ويستعلم لا شيء فلتتواضع، ولتعرف أن ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير برقم (٥٤٠٦) وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة برقم (٧٤١).

(٢) ذم الهوى، ابن الجوزي، ص٢٥٤.

(٣) مواقف إيمانية من حياة التابعين، ص١٥٥ بتصرف.

ألا تسأله العلم النافع الذي يثمر العمل الصالح، والخلق الرشيد؟

ألا تسأله الإخلاص في العلم، والتعلم والتعليم.

ألا تتحاكم إلى شرعه؟ قل لي: أي قانون، أي حكم، أي رأي، يكون له من العلم والكمال ما لربك سبحانه؟! شتان، الفارق بين علم الخلق وعلم الخالق سبحانه فاصدقْ واستسلم لحكم مولاك الذي دعاك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال].

الله هو العليم.. فَمَنْ أنت؟ وماذا تساوى في ملكه سبحانه؟ قالها الخضر لموسى عليه السلام كما جاء في الحديث، وفيه: فقال الخضر: **يا موسى مَا نَقَص عِلْمِي وَعِلمُكَ مِنْ عِلمِ اللهِ إلاّ كَنَقْرَةِ هَذَا الْعُصْفورِ فِي الْبَحْرِ**[1].

- واعلم أن «أحب الخلق إليه من اتّصف بمقتضيات صفاته، فإنه كريم يحب الكريم من عباده، عالم يحب العلماء»[2]، فكن: سميعًا للخير والحق.. عليمًا بالهدى والنور تنل رضا مولاك.. في الدنيا والآخرة.

وقبل المغادرة

* يقول البهلول: أقمت ثلاثين عامًا أقول هذا الذكر فلما كان يومي مع (العكي) نسيت أن أقولها فبليت به وذلك أن (العكي) ضربه نحو عشرين سوطا فكان سبب موته[3].

---

(١) أخرجه البخاري برقم (١٢٢).

(٢) الوابل الصيب، لابن القيم، ص٥٣.

(٣) الفتوحات الربانية، لابن علان البكري (١/٦٨٦).

وهو السميع العليم

قرن بينهما النبي ﷺ كما في قوله ﷻ: ﴿۞ وَلَهُۥ مَا سَكَنَ فِى ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [الأنعام].

لأن المتصف بالعلم يلزم أن يكون سميعًا بصيرًا لأن انتفاء هذه الأوصاف يؤدي إلى انعدام العلم أو انعدام كماله[١].

فجمع بينهما ليشمل كل شيء فسبحانه لا يغيب عن سمعه دعوة داعٍ، ولا يعزب عن علمه حاجة محتاج حتى ننزلها بالأولياء أو بالأموات أو الشفعاء. فهو يسمع كل شيء، وأحاط علمه بكل شيء سبحانه: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾ [غافر].

وكي تَتضحَ الرؤية نسى (أبان بن عثمان) الحديث السابق فأصابه المرض فما بالك بمن ينسى رَبَّهُ كُلِّيَّةً، ويهجر شرعه جملةً، ويترك ذكره مطلقا؟! ماذا يكون حاله وإلى أين مستقره ومآله؟!!

ولتثق في أن هذا الذكر منجاة من الشر والضر، ولكن إن أصابك سوء أو ابتلاء، فاعلم أن ذلك كفارة لذنبك، ورفعةً لقدرك ومحوًا لسيئاتك، وسموًّا في درجاتك ولتقل:

مولاي

يا مَنْ يَرَىَ ما فى الضّمير ويسمعُ ... أنت المُعدُّ لكلِّ ما يتوقّعُ

يا مَنْ خزائنُ رزقه في قوله كُنْ ... امْنُن فإنَّ الخيرَ عندك أجمعُ

مالي سوى فَقْري إليكَ وسيلةً ... فبالافتقار إليك فقري أدفعُ[٢]

---

(١) أسماء الله الحسنى، د. محمود عبد الرازق، ص٤٤٤.

(٢) خصائص المصطفى ﷺ، الصادق محمد بن إبراهيم، ص١٢٨.